

بين بلاغة الإقناع

وبلاغة الإمتاع

obeikandi.com

يقوم الخطاب الإقناعي على عناصر وأطراف مهمة تربطها علاقات معقدة : النص ، المتكلم ، المخاطب ، المقام ، ويستلزم ذلك في صاحب العمل الأدبي التحلي بصفة الإقناع بواسطة الخطاب ، وفي هذا الصدد يؤخذ في الاعتبار افتراضات من أهمها :

١. أن البلاغة العربية – كباقي البلاغات القديمة – كانت تعالج في أغلب الأحيان نصوصاً وخطابات أدبية يحكمها الوعي والقصد ، فلم يكن البلاغي يهتم بالخطاب الذي يكتفي بذاته ، ولا يعير اهتماماً لمخاطبه ، ولم تكن البلاغة تعتبر النص كلاماً يهم المتكلم فقط ، أو كلاماً مكتفياً بذاته ، بل هي تهتم أساساً بالنص الذي يتوجه للآخرين .

٢. أن البلاغة العربية كانت تؤسس جسور التواصل بين الشعر والخطابة ، بين التخيل والإقناع . وهذا عمل مفيد وثرى لم ينل إلا القليل من الاهتمام في الدرس البلاغي المعاصر . . " فالأدب ليس دائماً خطاباً منغلقاً على ذاته ، وليس له في حد ذاته غائته الخاصة ، فالاحتكاك بالواقع متعة جمالية خالصة . . والتفكير البلاغي يدفعنا إلى التساؤل : ألا يمكن أن نقرأ الأدب باعتباره حجاجاً ؟ " (١)

وإذا كان الإقناع أبرز إشكالية في عالم اليوم فهو مهم بالدرجة الأولى في بعض الأعمال الأدبية التي تحتاج إلى الحجة والبرهان لإقناع القارئ ، وهذا أمر مهم يدفع المبدع إلى التحلي بثقافة التواصل والإقناع حتى يكتسب خاصية الحجاج

١- الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية ، د / حسن المودن ، مراکش ٢٠٠٦ م .

والاستدلال ، مع ملاحظة أن عصرنا الحاضر شهد تحولاً في مفهوم اللغة ، حيث لم تعد مفصولة عن الإنسان ومجتمعه وثقافته وتاريخه .

وخلاصة الأمر أن الخطاب الشعري في ظل بلاغة الإقناع يشترك مع الأسلوب العلمي في خصائص : الوضوح والتدرج ، ويتميز بالسعي نحو تعديل سلوك ومواقف المتلقي معتمداً في ذلك على استخدام الأدلة والحجج المناسبة ؛ وهنا نشير إلى أهمية النص وما يكمن داخله من قدرات ، فهو قوة خلاقية ينبغي أن يستغلها المبدع ويوظفها في الإقناع والتأثير ، وإلى جانب اللفظ فإن للأشكال الصوتية الموسيقية دوراً في الإقناع النصي متمثلة تأثيرات المجاز والتخييل وحجاجية الاستعارة وعلاقتها باللفظ المفرد وبالنظم والتركيب . ولا يظن ظان أن الخطاب الشعري المعتمد على الإقناع يخلو من الإمتاع إذ لا فصل بينهما – والحقيقة أن أي نص تمتزج فيه المتعة بالفائدة ، وبلاغة الإقناع ببلاغة الإمتاع ، إلا أن طبيعة الخطاب الشعري هي التي تجعل تجعل الهيمنة لجانب على الآخر .

بلاغة الإمتاع

أما في بلاغة الإمتاع ، فإن اللغة تأخذ اتجاهًا أسلوبياً يميل إلى خرق علاقة مألوفة بين الكلمة ودلالاتها المعتادة في اللغة الطبيعية ففي قول نزار قباني (راثيا عميد الأدب العربي) :

أرم نظارتك ما أنت أعمى
إنما نحن جوقة العميان
ما علينا إذا جلسنا بركن
وفتحنا حقائب الأحزان

نرى أن الحقائق تحمل الأشياء المادية ، والعلاقة المألوفة هي بين الحقيبة وما يوضع فيها من ماديات أما أن تصير محملة بالأحزان فهذا خرق للمألوف ، وجنوح باللغة عن طبيعتها ، ومن ثم يحتاج المتلقي إلى تأويل معنى بالنظر إلى السياق العام الذي جاءت فيه كلمة حقائب ، ويسمى ذلك بالانزياح .
والانزياح لغة " التباعد والذهاب " واصطلاحاً هو الفرق بين المألوف في اللغة الطبيعية ، والخروج عنه .

- وقد يكون الانزياح في الموسيقى كقول نزار :

تريدين مثل جميع النساء
كنوز سليمان مثل جميع النساء
وأحواض عطر
وأمشاط عاج
وسرب إماء

ترديدن مولى . . يسبح باسمك

كالبغاء

يقول أحبك عند الصباح

ويقول أحبك عند المساء . .

ويقول :

فلست أنا سندباد الفضاء

لأحضر بابل بين يديك

. . و أهرام مصر . .

و إيوان كسرى

وليس لدى سراج علاء

لآتيك بالشمس فوق إناء

أنا عامل من دمشق فقير

رغيفي أغمسه بالدماء . .

القصيدة قائمة على شعر التفعيلة ، وهذا نوع من الإنزياح لأن شكل النص

وإيقاعه خرج عن المألوف ، وهو ما يحقق المتعة للمتلقي وقد يتمثل الانزياح على

المستوى البلاغي والتركيبى في تقديم ما حقه التأخير ، وعودة الضمير على متأخر ،

والالتفات والتكرار . . وكلها أمور تدفع المتلقي إلى التأويل مما يحقق له الإمتاع .

ولنا أن نتأمل بعض النصوص لنرى ما تحقق فيها من إقناع أو إمتاع .